معاذة العدوية

* نسبها

هى معاذة بنت عبد الله العدوية .

* كنيتها

تكنى أم الصهباء محمد بن فضيل..

كانت من عابدات البصرة.

وهى زوجة صلة بن أشيم العدوى أبو الصهباء العابد الزاهد .

كان راهبا من رهبان الليل ، فارسا من فرسان النهار .

وكان لا ينام ليله ولا يفطر نهاره.

* بانفس

كانت معاذة بنت عبد الله العدوية تحيى الليل صلاة فإذا غلبها النوم قامت فجالت فى الدار وهى تقول :

ـ يا نفس : النوم أمامك لو قدمت لطالت رقدتك فى القبر على حسرة أو سرور.

فهى كذلك حتى تصبح

وكانت إذا جاء النهار قالت :

ـ هذا يومى الذى أموت فيه .

فما تنام حتى تمسى .

وإذا جاء الليل قالت :

ـ هذه ليلتى التى أموت فيها.

فلا تنام حتى تصبح.

obeikandl.com

وإذا جاء البرد لبست الثياب الرقاق حتى يمنعها البرد من النوم .

فكانت تصلى كل يوم وليلة ستمائة ركعة وتقرأ جزأها من الليل تقوم به .

وكانت تقول :

ـ عجبت لعين تنام وقد عرفت طول الرقاد فى ظلم القبور .

يقول الحسن بن على بن مسلم الباهلى :

سمعت أبا السوار العدوى يقول :

بنو عـدى أشـد أهل هذه البلدة اجتهادا : هذا أبو الصهباء ـ صلة بن أشيم العدوى ـ لا ينام ليله ولا يفطر نهاره ، وهذه امرأته معاذة ابنة عبد الله لم ترفع رأسها إلى السماء أربعين عاما .

* قالت لى معاذة

أرضعت معاذة بنت عبد الله العدوية جارية ـ فتاة أم الأسود بنت زيد العدودة ـ

تقول ـ أم الأسود بنت زيد العدوية :

قالت لى معاذة : يا بنية : كونى من لقاء الله عز وجل على حذر ورجاء، إنى رأيت الراجى له محقوقا بحسن الزلفى لديه يوم يلقاه ، ورأيت الخائف مؤملا للأمان يوم يقوم الناس لرب العالمين . ثم بكت حتى غلبها البكاء .

* أيها السبع اطلب الرزق من مكان آخر

تقول معاذة بنت عبد الله العدوية :

حدثنى جعفر بن زيد فقال :

خرجنا فى غزاة ـ غزوة ـ إلى كابل ـ عاصمة أفغاستان اليوم ـ ، وكان فى الجيش صلة بن أشيم ، فلما أرخى الليل سدوله حط المسلمون رحالهم وأصابوا شيئًا من الطعام وصلوا العشاء الأخيرة فقلت :

ـ لأرُمقن عمل صلة بن أشيم وأنظر ما يذكر الناس من عبادته .

فما أن غرق الجند فى نومهم حتى رأيته يستيقظ من رقدته وينحاز عن العسكر ـ يميل بعيدا عن العسكر ـ ويدخل غيضة ـ غابة باسقة الأشجار ـ كأن لم تطأها قدمان منذ دهر طويل ، لقد التمس غفلة الجند وهدوء العيون .

فمضيت فى إثره ـ وراءه ـ فتوضأ ثم قام يصلى واستغرق فى صلاته كأنما يجد فى الوحشة أنسا ، وفى البعد قربا وفى الظلمة ضياء ونورا .

وبينما هو كذلك إذا جاء أسد حتى دنا منه ، فصعدت فى شجرة باسقة فراراً من شره .

وراح الأسد يقترب من صلة بن أشيم حتى صار على قيد ـ بعد ـ خطوة ، ولكن صلة بن أشيم لم يلتفت إليه فهل عده جرذًا ؟

ثم سجد فقلت :

ـ الآن يفترسه

فلما نهض من سجوده وجلس اقترب الأسد منه ووقف بإزائه ـ أمامه ـ كأنه يتأمله .

ولما فرغ من صلاته نظر إلى الأسد وقال له :

ـ أيها السبع : اطلب الرزق من مكان آخر .

فإذا بالأسد ينصرف عنه وهو يزأر زئيراً تصدع الجبال منه .

ولما تنفس الصبح جلس صلة بن أشيم فحمد الله عز وجل بمحامد لم أسمع بمثلها إلا ما شاء الله ثم قال :

اللهم إنى أسألك أن تجيرنى من النار ، أوَ مثلى يَجْترئ أن يسألك الجنة ؟

ثم رجع إلى رحله فأصبح كأنه بات على الحشايا .

وأصبحت وبى من الفترة ـ الانكسار والضعف ـ شىء الله عز وجل به عليم .

* اللهم إنى أقسم عليك

تقول معاذة :

قال جعفر بن زيد :

لما دنا جيش المسلمين من أرض العدو قال الأمير :

ـ لا يشذن أحد من العسكر .

فذهبت بغلة صلة بن أشيم بثقلها ـ بما تحمله ـ فأخذ يصلى .

فقالوا له :

ـ إن الناس قد ذهبوا .

فمضى صلة بن أشيم فى صلاته وقال :

ـ دعونى أصلى ركعتين .

فقالوا :

ـ إن الناس قد ذهبوا .

قال أبو الصهباء :

ـ إنهما خفيفتان .

فدعا ثم قال :

اللهم إنى أقسم عليك أن ترد بغلتى وثقلها .

فجاءت حتى قامت بين يديه ـ أمامه ـ

يقول جعفر بن يزيد :

فلما لقينا العدو حمل صلة بن أشيم وهشام بن عامر فصنعا بالعدو الأفاعيل طعنا وضربا وقتلا فانهزم العدو وقالوا :

obeikandl.com

ـ رجلان من العرب صنعا بنا هذا فكيف لو قاتلونا ؟

فأعطوا المسلمين حاجتهم .

* هذا كان أمثل مما أردتم

كان صلة بن أشيم لا يجد نهزة ـ فرصة ـ ولا سانحة من سوانح الموعظة والتذكير إلا اغتنمها ، وكان أسلوبه فى ذلك أن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة فتنجذب إليه النفوس النافرة كما يجذب النور الفراشات ، ويستلين القلوب القاسية وكان أبو الصهباء يخرج إلى الجبان ـ الجبال ـ فيتعبد فيها ، فكان يمر عليه شباب يلهون ويلعبون فيقول لهم :

ـ أخبرونى عن قوم أرادوا سفرا فحادوا النهار عن طريق وباتوا الليل ليستريحوا فمتى ترونهم ينجزون رحلتهم ؟

فكان أبو الصهباء كلما مروا به يعظهم .

ومر بهم ذات يوم فقال لهم مقالته .

فقال شاب منهم :

ـ يا قوم : والله إنه ما يعنى بهم غيرنا ، نحن بالنهار نلهو وبالليل ننام .

ثم تبع صلة بن أشيم وما زال فى صحبته حتى مات .

ومر أبو الصهباء وأصحابه بفتى يجر ثوبه ـ أطال ثوبه وجعل يجره على الأرض خيلاء وكبرا ـ فهم أصحاب صلة بن أشيم أن يشتموه فقال أبو الصهباء :

ـ دعونى أكفكم أمره .

ثم أقبل أبو الصهباء على الشاب وقال له فى رفق الأب الشفيق :

ـ يا ابن أخى : إن لى إليك حاجة .

فتوقف الشاب وتساءل :

ـ وما هى يا عم ؟

قال صلة بن أشيم :

ـ أن ترفع إزارك ، إن ذلك أنقى لثوبك ، وأتقى لربك ، وأقرب لسنة نبيك ﷺ

فقال الشاب بلا تردد :

ـ نعم ونعمة عين ـ مسرة عين ـ

ثم بادر ورفع إزاره .

فقال أبو الصهباء لأصحابه :

ـ إن هذا كان أمثل مما أردتم ، لو شتمتوه لشتمكم ، وظل يجر ثوبه مُسدلاً يمسح الأرض .

* قد نعى لنا

ذات يوم كان أبو الصهباء يتناول طعامه فجاءه رجل وقال له :

ـ إن أخاك مات .

فلم يتوقف صلة بن أشيم عن الطعام وقال للرجل :

ـ هلم فكل قد نعى لنا ، ادن فكل

فقال الرجل فى عجب :

ـ والله ما سبقنى إليك أحد فمن نعاه ؟

قال أبو الصهباء :

ـ يقول الله عز وجل : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [سورة الزمر الآية : ٣٠] .

* بكى وأبكى الناس :

يقول الحسن البصرى :

مات أخ لنا فصلينا عليه ، فلما وضع فى قبره ومد عليه الثوب جاء صلة بن أشيم

فأخذ بناحية الثوب ثم نادى :

ـ يا فلان ابن فلان :

فإن تنج منها تنج من ذى عظيمة وإلا فإنى لا أخالك ناجيا

فبكى

وأبكى الناس .

وجاء رجل لأبى الصهباء فقال له :

ـ ادع الله عز وجل لى .

قال صلة بن أشيم :

ـ رغبك الله عز وجل فيما يبقى ، وزهدك فيما يفنى ، ووهب لك اليقين الذى لا يسكن إلا إليه ولا يعول فى الدين إلا عليه .

* علمنى مما علمك الله عز وجل

جاء أبو السليل صلة بن أشيم فقال له :

ـ يا أبا الصهباء : علمنى مما علمك الله عز وجل .

قال أبو الصهباء :

ـ أنت اليوم مثلى حيث أتيت أصحاب رسول الله ﷺ أتعلم منهم .

فقلت لهم :

ـ علمونى مما علمكم الله .

فقالوا :

ـ انتصح للقرآن وانصح للمسلمين وأكثر من دعاء الله ما استطعت ، ولا تكونن قتيل العصا ، قتيل عمية ـ من العلماء الضلالة كالقتال فى المعصية والأهواء ـ

* إن كنتن جئتن لتهنئنني فمرحبا

يقول ثابت البناني :

إن صلة بن أشيم كان في مغزى له ومعه ابن له فقال :

ـ أي بني : تقدم فقاتل حتى أحتسبك .

فحمل فقاتل ثم تقدم أبو الصهباء فقاتل مقبلا غير مُدبرحتى قتل

فاجتمعت النساء عند امرأته معاذة العدوية فقالت :

ـ إن كان ابني وزوجي قد ماتا فقد جئتن معزيات ، وإن كانا قد قتلا شهيدين في سبيل الله وظفرا بما كانا يطمعان فيه من الشهادة فمرحبا فقد جئتن لتهنئنني فمرحبا .

يقول سلمة بن حسان العدوي :

ـ إن معاذة لم توسد فراشا بعد أبي الصهباء حتى ماتت .

وتقول أم الأسود بنت زيد العدوية ـ كانت معاذة قد أرضعتها ـ :

قالت لي معاذة لما مات زوجها وابنها شهيدين :

والله يا بنية : ما محبتي للبقاء في الدنيا للذيذ عيش ولا لروح نسيم ، ولكن والله أحب البقاء لأتقرب إلى ربي عز وجل بالوسائل لعله يجمع بيني وبين أبي الصهباء وولده في الجنة .

* وفاة معاذة بنت عبد الله العدوية

لما احتضر الموت معاذة بنت عبد الله العدوية بكت ثم ضحكت .

فقيل لها :

ـ فمم البكاء ومم الضحك ؟

قالت :

ـ أما البكاء الذي رأيتم فإني ذكرت مفارقة الصيام والصلاة والذكر . . فكان البكاء

لذلك .

وأما الذى رأيتم من تبسمى وضحكى فإنى نظرت إلى أبى الصهباء ـ صلة بن أشيم ـ قد أقبل فى صحن الدار وعليه حلتان خضراوان وهو فى نفر والله ما رأيت لهم فى الدنيا شبها فضحكت إليه ولا أرانى أدرك بعد ذلك فرضا .

فماتت قبل أن يدخل وقت الصلاة .

* من مسانيدها

أدركت معاذة أم المؤمنين عائشة وروت عنها.

وروى عن معاذة بنت عبد الله العدوية الحسن البصرى وأبو قلابة ويزيد الرشك .

obeikandl.com